FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

قسم العدالة البيئية والمناخية

الهشاشة البيئيّة والمناخية للنساء

دراسة حالات من تونس

سبتمبر 2024

الهشـــاشة البيئيـــة والمنـــاخية للنســـــــاء

بية الحرباوي وإيناس لبيض

مكتب المنتدى بتونس

1. تعريف الهشاشة البيئية والمناخية

يصف التقرير التقييمي الخامس(AR5)[1] لمجموعة الخبراء الحكوميين الدولية المعنية بتغير المناخ(GIEC) ، والمعروفة أيضًا باسم "الفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ(IPCC) "مفهوم الهشاشة المناخية والبيئية على أنها مدى قابلية أي منظومة للتعرض للأضرار أو عدم قدرتها على مواجهة الآثار الضارة لتغير المناخ. ويشمل هذا التعريف التغيرات المناخية والتقلبات المناخية والأحداث المناخية المتطرفة. كما وترتبط وضعية الهشاشة البيئية بطبيعة وحجم وسرعة التغيرات المناخية والبيئية التي تتعرض لها المنظومات بالإضافة إلى حساسيتها وقدرتها على التكيف.

[1] https://www.ipcc.ch/report/ar5/syr/

هذا وقد سلط التقرير التقييمي السادس (AR6)[2] للفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ الضوء على مفهوم أعمق للهشاشة في سياق عدم المساواة بين الجنسين حيث أنه طرح مفهوم "الضعف المناخي للنساء". والمقصود بهذا المصطلح الطريقة التي يؤثر بها تغير المناخ بشكل غير متناسب على النساء مقارنة بالرجال. وغالبًا ما تعود هذه الفجوة إلى عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية تعزز من المخاطر والآثار السلبية لتغير المناخ وتدهور البيئة على النساء.

فما هو إذن تأثير التغير المناخي وتدهور الحالة البيئية على النساء؟ ولماذا يمكن أن تتأثر النساء بشكل أكبر بهذه التغيرات؟ وكيف يظهر ضعفهن في مواجهة التحديات البيئية والمناخية؟

2. الجوانب المختلفة للهشاشة البيئية والمناخية لدى النساء

تُعتبر النساء والفتيات من بين أولى ضحايا التغير المناخي وتدهور الوضع البيئي، ذلك أن ما يعشنه من صعوبات الاجتماعية والاقتصادية تجعلهن من بين الفئات الأكثر هشاشة وهو ما يوثر على جودة حياتهن، خاصة أولئك اللاتي يعشن في

[2] https://www.ipcc.ch/report/ar6/syr/

المناطق الريفية المهمشة ويعتمدن في معيشتهم بشكل أساسي على المياه والموارد الطبيعية. هذا بالإضافة إلى أن الفجوات المرتبطة بعدم المساواة بين الجنسين تزيد من هشاشة النساء من خلال صعوبة الوصول إلى مراكز القرار والتمويلات، وهو ما يخلق كذلك صعوبة في تصور سيناريوهات التكيف (مثل تغيير النشاط أو التنويع أو التنقل) عندما تفرض الظروف المناخية والبيئية ذلك. علاوة على ذلك، فإن المسؤوليات والأدوار التي تتولاها النساء في أسرهن تعرضهن بشكل أكبر للمخاطر المرتبطة بتدهور جودة البيئة، خاصة منها درجات الحرارة المرتفعة وتلوث الهواء.

سيركز المقال في جزئه التالي على الجوانب المختلفة المتعلقة بهشاشة النساء من الناحية المناخية والبيئية ثم سيتطرق الى هشاشة النساء التونسيات في مواجهة هذه التغيرات.

1.2 تأثر النساء اقتصاديا بالتغيرات المناخية والتدهور البيئي

تجعل المعايير الثقافية والمسؤوليات الأسرية وندرة الموارد الطبيعية النساء أكثر عرضة للتغيرات المناخية والتدهور البيئي. ذلك أنه وفقًا للأمم المتحدة، تمثل النساء 70%[3] من المجتمعات

[3] https://www.lesechos.fr/weekend/planete/face-au-changement-climatique-les-femmes-en-premiere-ligne-1915543

الفقيرة التي تعتمد على الموارد الطبيعية المحلية، وغالبًا ما يعملن في قطاعات حساسة للتغيرات المناخية، مثل الزراعة، لتأمين سبل عيشهن. كما أن دخل النساء، خصوصًا في المناطق الريفية، يتأثر بشكل مباشر بالظروف المناخية والبيئية. ذلك أن هذه التغيرات البيئية تزيد من حدة التفاوتات الاجتماعية القائمة وظاهرة التمييز ضد النساء في القطاع الزراعي على سبيل المثال. حيث أن ملكية الأرض هو حق منتهك للنساء في العديد من البلدان، مما يحد من مساهمة القوى العاملة النسائية بشكل فعال وعادل في القطاع الزراعي. وفقًا للأمم المتحدة تساهم اليد العملة النسائية بين 50% و80% في الإنتاج الغذائي العالمي، لكنها تملك أقل من 10%[4] من الأراضي.

إضافة الى ذلك، فانه وفقًا لبيانات منظمة العمل الدولية (OIT)، في جوان 2020، فقدت 72% من العمالة المنزلية في العالم وظائفها بسبب جائحة كوفيد-19، والتي تم ربطها بالتغيرات المناخية في العديد من الدراسات. كذلك فقدت النساء العاملات في قطاعات حساسة للأزمات، مثل الضيافة والمطاعم والعمل المنزلي، وظائفهن بشكل أسرع من الرجال بسبب الجائحة. ويعود ذلك إلى عقود العمل الهشة وإلى المعايير الاجتماعية التي تميل

[4] https://www.un.org/fr/chronicle/article/le-femmes-dans-le-contexte-des-changements-climatiques

للحفاظ على وظائف الرجال بدلاً من النساء خلال الأزمات أو عندما تصبح عمليات التسريح ضرورية لضمان استمرارية النشاط الاقتصادي.

2.2 التأثيرات الاجتماعية للاضطرابات البيئية والمناخية على النساء

وفقًا للأمم المتحدة، النساء والأطفال أكثر عرضة للوفاة أثناء الكوارث المناخية وذلك بمقدار 14 مرة[5] مقارنة بالرجال، ويرجع هذا أساسًا إلى محدودية الوصول إلى المعلومات، وقلة القدرة على التنقل، وضعف المشاركة في اتخاذ القرار، ونقص الموارد. بالإضافة إلى أن 4 من بين كل 5 أشخاص من النازحين[6] البيئيين هن من النساء وفتيات. وتعتبر تأثيرات التغيرات المناخية وعلى رأسها اضطراب دورات الإنتاج، الجفاف، تكاثر الآفات الزراعية وتدهور المحاصيل من أهم الأسباب التي تهدد الأمن الغذائي والولوج الى الغذاء في العالم. وفي هذا الصدد، تمثل النساء نسبة 60% من الجوعى في العالم[7].

[5] https://shorturl.at/S08yf
[6] https://shorturl.at/BsmlJ
[7] https://www.actioncontrelafaim.org/a-la-une/pourquoi-les-femmes-sont-elles-plus-touchees-par-la-sous-nutrition/

من جانب آخر، تشير العديد من الدراسات إلى أن العنف الأسري ضد النساء يشهد ارتفاعا عندما ترتفع درجات الحرارة الى مستويات قياسية. وقد أثبتت أبحاث لفريق بحث امريكي أن الحرارة القصوى ترفع من الإحساس بالضغط النفسي ومن العدوانية بين الأزواج[8]، حيث أنها تتسبب في تغييرات هامة في السلوكيات، وذلك خاصة لدى الأسر الفقيرة.

وفي الدول النامية، يدفع تدهور الوضع البيئي وخاصة في علاقة بصعوبات الولوج للماء، وخشب التدفئة في المناطق الباردة، بأرباب الأسر الى قطع الدراسة عن بناتهن لكي تقدمن العون للأمهات في الاعمال المنزلية ورحلة البحث عن الماء والحطب. كما يمكن أن ينجر عن الهشاشة الاقتصادية الناجمة عن تراجع المداخيل الفلاحية، تنامي ظاهرة تشغيل القُصَّر وخاصة الفتيات اللاتي يتم إرسالهن للعمل في جهات أخرى، ولممارسة أعمال تكون في أغلب الأحيان شاقة وبأجر زهيد، على غرار الإعانة المنزلية والمعامل.

وفي بعض الأحيان، عندما تطول مدة الأزمة البيئية والمناخية ويزداد وضع العائلات تعقيدا، يواجه معيل/معيلة

[8] https://www.cnews.fr/monde/2023-06-30/societe-une-etude-etablit-un-lien-entre-le-rechauffement-climatique-et-la-hausse

الأسرة صعوبات لتلبية حاجيات أفراد أسرته/ا، مما يدفع به/ا لتزويج بناته/ا لتخفيف العبء المادي على ميزانية الأسرة. وتتركز هذه الظاهرة خاصة في المناطق التي يرتكز مدخول العائلات فيها على النشاط الفلاحي. ففي دول اسياوية وافريقية تعيش على وقع الفيضانات وموجات الحر والجفاف على غرار الهند وبنغلادش، ينتشر بصورة كبيرة الزواج المبكر والقسري، الذي أثبتت العديد من الدراسات علاقته المباشرة بتغير المناخ.

3.2 التأثيرات الصحية على النساء

يعتبر النشاط البشري أهم قادح للتغيرات البيئية والمناخية التي نعيشها اليوم. حيث أن التوسع العمراني على حساب المساحات الخضراء والغابات، تكاثر المعامل والمناطق الصناعية، الافراط في استعمال الطاقات الاحفورية واستنزاف الموارد الطبيعية، الأنماط الزراعية المكثفة والاستعمال المفرط للمواد الكيمياوية والمضادات الحيوية، هذا بالإظافة الى تكدس النفايات، تمثل كلها عوامل تُفاقِم من انتشار الأمراض وتزايد الفيروسات والأوبئة، هذا بالإظافة الى دورها في تعميق الأزمة المناخية.

وفي كتابه "الضيعات الفلاحية الضخمة تُسبب موجات انفلوانزا كبيرة"[9] ، شدد *روب والاس* على العلاقة السببية بين الركض خلف تحقيق الأرباح في القطاع الفلاحي والأزمة الايكولوجية التي تؤدي بدورها إلى انتشار الأمراض والأوبئة والأزمات الصحية.

ومن جانب آخر، تتأثر المجتمعات الفقيرة في المناطق المهمشة أين البنية التحتية المهترئة والخدمات الاساسية المتردية (غياب الماء والصرف الصحي، خدمات رفع نفايات سيئة، غياب الفضاءات المكيفة...) بشكل أكبر بدرجات الحرارة المرتفعة والظواهر المناخية المتطرفة. كما أن تلوث مختلف مكونات المنظومة البيئية من ماء وهواء وتربة يمكن أن يكون لها تبعات مباشرة على صحة الإنسان حيث يمكن أن ينجر عنها أمراض تنفسية والتهابات وحتى اضطرابات في الوظيفة الإنجابية والسرطان. كما يمكن أن يؤدي التعرض المباشر والمطول إلى مواد ملوثة إلى الموت. وتقدر منظمة الصحة العالمية نسبة الوفايات في العالم نتيجة التدهور البيئي ب23%، وهو ما يمثل 12,6 مليون وفاة في السنة[10].

[9] Big Farms make big flu

[10] https://www.who.int/ar/news/item/06-06-1437-an-estimated-12-6-million-deaths-each-year-are-attributable-to-unhealthy-environments

علاوة على ذلك، يتعرض الرجال والنساء الى التحديات الصحية بشكل مختلف وذلك، بحسب ظروف عيشهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وهنا يختلف تأثير التعرض للملوثات في إطار الأنشطة المهنية والمنزلية بين الرجال والنساء[11]. حيث أن النساء، بيولوجيا، عرضة أكثر من الرجال للآثار السلبية للتدهور البيئي وخاصة للتلوث. ويتعرض خاصة الجهاز الهرموني والتناسلي إلى اضطرابات وظيفية يمكن أن تؤدي إلى أمراض مختلفة على غرار السرطانات الهرمونية، اظطرابات الخصوبة والتشوهات الخلقية عند الولادة.

3. الهشاشة البيئية والمناخية للنساء في تونس

رغم أن تونس تعتبر رائدة في مجال حقوق وتمكين المرأة، خاصة مع إصدار مجلة الأحوال الشخصية في عام 1956, التي أرست مبدأ المساواة بين الجنسين, مما وضع أسسًا لمجتمع أكثر عدلا وأوفر حظا للنساء التونسيات، الا انه لا تزال هناك فجوات قائمة في مختلف المجالات والحقوق لعل أبرزها التشغيل، اذ يعتبر معدل البطالة بين النساء في تونس مرتفعا بما يعادل الضعف مقارنة بمعدل البطالة بين الرجال. حيث أنه وفقًا

[11] Catherine Vidal. Femmes, Santé et Environnement : La vulnérabilité des populations féminines. 2020.

الخطة الوطنية حول المرأة والتغيرات المناخية لعام 2022، فإن نسبة النساء في القوى العاملة تبلغ 26.04٪ فقط، مقابل 73.9٪ للرجال[12]. وتعكس هذه الفجوة العقبات المستمرة التي تواجهها النساء في سوق العمل، خصوصًا فيما يتعلق بالوصول إلى الوظائف والأجر وظروف العمل. كما أن تمثيلية النساء التونسيات في الهيئات القيادية والمؤسسات المالية لا تزال ضعيفة وهو ما يحد من تأثيرهن في عملية اتخاذ القرار ووضع السياسات العامة التي تدعم المساواة بين الجنسين. ذلك أن التونسيات يشغلن 37%[13] فقط من المناصب القيادية في الوزارات سنة 2022.

علاوة على ذلك ,تتفاقم التحديات المرتبطة بعدم المساواة بين الجنسين بسبب تأثيرات التغير المناخي، خاصة في المناطق الريفية حيث تعتمد النساء بشكل كبير على الموارد الطبيعية كمصدر دخل أساسي. وفقا للأرقام التي جاءت في تقرير الخطة الوطنية للنوع الاجتماعي والتغير المناخي 2022, لوزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكبار السن، تمثل النساء في الأرياف ثلث إجمالي النساء في تونس ويشكلن 78.9٪ من القوى العاملة الزراعية.

[12] الخطة الوطنية حول المرأة والتغيرات المناخية ,2022

[13] نفس المصدر

وتلعب هؤلاء النساء دورًا حيويًا في الزراعة وإنتاج الغذاء، لكنهن غالبًا ما يكنّ في وضعية هشاشة أمام تأثيرات التغير المناخي.

تشمل التحديات المناخية والبيئية الرئيسية التي تواجهها النساء التونسيات في الوسط الريفي, الجفاف ونقص المياه والتصحر الذي يؤثر على 75٪ من أراضي البلاد. تتسبب هذه الظواهر بشكل مباشر في تراجع إنتاجية الأراضي الزراعية، مما يزيد من مخاطر البطالة والفقر بين النساء المزارعات. لا سيما أن 19.3٪ [14]فقط من هؤلاء النساء يملكن الأراضي ولديهن وسائل معيشية مستقرة، مما يجعلهن عرضة بشكل خاص للتقلبات المناخية والبيئية.

ومنه, فمن الضروري تعزيز السياسات العامة والمبادرات المحلية لدعم النساء، خاصة في المناطق الريفية. حيث يمكن أن يساهم انخفاض مستوى الأمية في الأرياف، التكوين المهني، وتوفير التمويل للمشاريع الزراعية في تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للنساء في تونس. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يسمح تبني مقاربة النوع الاجتماعي في استراتيجيات مكافحة التغير المناخي بالاستجابة بشكل أفضل للاحتياجات الخاصة بالنساء

[14]نفس المصدر

ودعم دورهن في الحفاظ على الموارد الطبيعية والتأقلم مع التقلبات المناخية.

من جانب آخر، من الضروري لدراسة الهشاشة البيئية والمناخية في تونس، الأخذ بعين الاعتبار من ناحية تدهور المؤشرات البيئية والمناخية، ومن ناحية أخرى تأثير هذا التدهور على النساء خاصة. ويُمكِّن المدخل الأول من تسليط الضوء على تراجع الخدمات البيئية في عديد المناطق الداخلية المهمشة وفي احواز المدن الكبرى والأرياف. وعلى هذا الأساس فإن الفوارق في الولوج لمياه الشرب وخدمات الصرف الصحي ورفع النفايات تستمر في التعمق بين الجهات المحظوظة تنمويا والجهات الأقل حظا.

يلخص الجدول التالي هذه الفكرة من خلال مقارنة بعض المؤشرات البيئية بين العاصمة تونس ومدينة القيروان.

بعض مؤشرات الخدمات البيئية الأساسية بكل من تونس والقيروان

	الربط بالماء الصالح للشرب (شبكة الصوناد)	توفر مياه الشرب بالمدارس الابتدائية	الربط بشبكة الصرف الصحي
تونس	**%100**	**%100**	**%98,6**
القيروان	**%56**	**%44**	**%59,4**

أما المدخل الثاني في علاقة بتأثير الوضعية البيئية والمناخية على النساء فدراسته تعتبر أكثر تعقيدا. وفي الواقع، لم تهتم الا اعمال قليلة بالهشاشة التي تميز النساء التونسيات اليوم في مواجهة التغيرات المناخية، ونقص الموارد المائية والتعرض لمصادر التلوث. ولكن، يمكن عرض بعض الأمثلة في هذا السياق.

1.3 هشاشة النساء في غياب الماء

أكثر من 200 ألف تونسي محرومون من الماء حسب آخر تقرير وطني لقطاع المياه لوزارة الفلاحة والموارد المائية لسنة 2021. وتظل جهات عديدة محرومة من الربط بالشبكة العمومية للمياه، هذا بالإضافة الى نسبة الهدر العالية وسوء التصرف في الموارد. وفي العديد من الأرياف النائية، تغيب البنية التحتية المائية ويضطر المتساكنون للتزود بصورة عشوائية من مصادر لا تخضع للرقابة الصحية، ما من شأنه أن يتسبب لهم في أمراض بسبب تلوث الماء الذي يستهلكونه. كما يقطعون مسافات طويلة يوميا مشيا على الأقدام أو على ظهور الدواب، للتزود ببعض اللترات لاستعمالها في حاجياتهم الاساسية وعلى رأسها الشرب والطبخ. حيث تعتبر نظافة المسكن والجسد ثانوية بالنسبة لهؤلاء الأشخاص بما أن عليهم تقسيط كمية لا تتجاوز ال 20ل /اليوم على جميع حاجياتهم.

وتتحمل النساء بالأساس عبء رحلة البحث الشاقة عن الماء، مرفوقات في بعض الأحيان بأطفالهن. حيث أن دورهن ومسؤولياتهن في العائلة ودور الرعاية المنوط إليهن في علاقة بالطبخ والتنظيف ورعاية الأطفال، يجعل من النساء في الأرياف خاصة بمثابة المسؤول الأول والوحيد عن توفر الماء للأعمال المنزلية وحاجيات جميع أفراد الأسرة.

في منطقة الرويعي بريف جندوبة، تمشي النساء وأطفالهن 4 ساعات يوميا للتزود من مجرى مياه ملوث

وسوف يعطي مقال رحاب مبروكي صلب هذا التقرير، تفاصيل أكثر حول تأثير صعوبات الولوج للماء على النساء، مسلطا الضوء على واقع نساء منطقة السقدود من ولاية قفصة، في غياب الماء.

2.3 هشاشة النساء في علاقة بالنفايات (البرباشة)

حسب دراسة للوكالة الوطنية للتصرف في النفايات، يبلغ عدد الأشخاص الذين يمتهنون جمع النفايات وبيعها (ما يطلق عليه في تونس البرباشة) 30ألف يتركز أغلبهم في العاصمة تونس وتبلغ نسبة النساء من بينهن 30%[15].

وتعيش النساء البرباشات ظروفا اجتماعية واقتصادية صعبة، حيث وجدت أغلبهن نفسها مضطرة الى مزاولة هذا النشاط على الرغم من التبعات الخطيرة التي تنجر عنه على صحتهن الجسدية والنفسية. وهن في أغلب الحالات أمهات عازبات، أو نساء مطلقات أو أرامل، كما أن عددا ليس بالقليل منهن يضطر الى نبش النفايات لأن زوجها مريض وأصبح غير قادر على إعالة أسرته. وهكذا تتحمل النساء البرباشات مسؤولية عائلاتهن مع ما تعانينه من هشاشة اجتماعية واقتصادية. وتكون يومياتهن موسومة بالعنف والوصم والتحرش، كما تتعرضن في أحيان كثيرة الى مواقف ووضعيات يصعب عليهن تجاوزها. ويضع امتهان نشاط محسوب على الرجال أو "ذكوري" النساء في وضعية منافسة متواصلة مع الرجال، خاصة بالنسبة لبرباشة الأحياء[16]،

[15] الوكالة الوطنية للتصرف في النفايات,2018

[16] ينقسم البرباشة الى صنفين. صنف ينبش في حاويات الأحياء وصنف ينبش داخل المصبات.

حيث تجدن أنفسهن مضطرات لقطع مسافات طويلة للبحث عن النفايات في المناطق التي لا يرتادها البرباشة الرجال، أو لاختيار ساعات عمل مبكرة جدا تفاديا لملاقاة الرجال في نفس المكان.

من جانب آخر، تخول البنية الجسدية للرجال، على عكس النساء الاستعانة بعربة أو جرارات صغيرة مما يمكنهم من جمع كمية أكبر من النفايات ويُسهّل عليهم مناقشة أسعار بيع تفاضلية مع الوسيط.

3.3 الهشاشة البيئية والمناخية للنساء في علاقة بالتعرض المستمر للمبيدات الحشرية والمواد الكيميائية

التعرض المتكرر لجرعات منخفضة من المبيدات الحشرية والأدوية الزراعية يمكن أن يكون له تأثيرات تراكمية لها تداعيات صحية جسيمة على النساء العاملات في القطاع الفلاحي على المدى الطويل. حيث يمكن أن تشمل هذه المخاطر التسمم الحاد، المشاكل التنفسية والجلدية، اضطرابات الخصوبة، التشوهات الخلقية، وبعض أنواع السرطان. وتتفاقم الآثار الضارة للاستعمال المتكرر لهذه المواد بفعل التغير المناخي الذي يستنزف الموارد الطبيعية ويخلق بيئة ملائمة لانتشار الأمراض والآفات

الزراعية ويقلل من إنتاجية المحاصيل. وهو ما يتسبب في مزيد تدهور ظروف عمل النساء في القطاع الزراعي حيث يصبح الحفاظ على المحصول والمردودية الزراعية الجيدة معتمدًا بشكل أكبر على استخدام المبيدات الحشرية والأدوية الزراعية.

في القطاع الصناعي أيضا، تمثل النساء الجزء الأكبر من القوى العاملة في المصانع، خاصة في قطاعات النسيج والصناعات الغذائية. في هذه المصانع، يكون التعرض للمواد الكيميائية شائعًا جدًا، بالإضافة إلى الحوادث الناتجة عن التسمم أو التفاعلات التحسسية الجلدية وغيرها. النساء العاملات في مصانع النسيج، على سبيل المثال، يتعرضن بانتظام للأصباغ، المذيبات، والمواد الكيميائية الأخرى المستخدمة في عمليات التصنيع. ويمكن أن تسبب هذه المواد تهيج الجلد، مشاكل تنفسية، أو حتى تسممات خطيرة في حالة التعامل غير السليم أو ظروف العمل غير الصحية.

كما أن ظروف العمل في مصانع الأغذية يمكن أن تكون صعبة بشكل خاص، حيث يتعرض العاملون للمواد الكيميائية المستخدمة في التنظيف، المضافات الغذائية، ومواد الحفظ. ويمكن لهذه المواد أن تسبب تفاعلات تحسسية، اضطرابات تنفسية، ومشاكل صحية أخرى. كما أن النساء العاملات في هذه

القطاعات غالبًا ما يواجهن ظروف عمل غير مستقرة، مع ساعات عمل طويلة وأجور منخفضة، مما يجعلهن أكثر عرضة للمخاطر الصحية المرتبطة ببيئة العمل.